القديم ويبدعون في هذا النظم ، ولا هو اتاح المجال للشعر الحديث. ولولا ان خليل خوري تمرد وتحدى ليكون الشاعر الوحيد الذي القى شعراً حديثاً لخيل لي ان التضييق الشديد الذي فرضته لجنة الشعر هو السبب في احجام الكثيرين عن القاء قصائد حديثة .

وكان لا بد في هذه الكلمة العجلى من المرور على ذكرى ابي فراس ، الذي ازيح الستار عن تمثاله الذي قدمه المجلس الاعلى هدية الى مدينة حلب وصنعه المثال جاك وردة . فماذا كان هذا التمثال ؟ كان تمثالا مسكيناً لا يعبر عن حقيقة ابي فراس . فأبو فراس مات في سن السابعة والثلاثين ، ولكنه في التمثال يبدو حياً في سن الستين. والتمثال صغير الى حد يصلح لان تكون قاعدته في صالون منزل ما ، لافي حديقة كبيرة وساحة واسعة .

الموسم الثقافي الجديد يبشر بخير عميم في سوريا . فان ثمة مجلات ادبية اخرى سوف تصدر بالاضافة الى المجلة الجديدة « الموقف العربي » التي يتولى فيها رئاسة التحرير حسام الخطيب وسكرتارية التحرير زكريا تامر. كما ان معرض الخريف الذي اقيم خلال تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي قد قدم مواهب جديدة ولوحات فيها تجديد كبير ، عدا عن المحاضرات والندوات التي اخذت تقام في اكثر الاندية . كما ان البرنامج الثاني الذي راح يبث من اذاعة دمشق قد اكتسب لنفسه عدداً كبيراً من الجمهور المثقف لما يقدمه من مسرحيات مترجمة ونقد وقصائد وابحاث وتحليل للسيمفونيات العالمية .

الجزائر : من ثريا انطونيوس

اول ما يسترعي النظر والدهشة في مدينة الجزائر هو طابعها غير العربي : فهي بلدة بيضاء متراصة هندست مبانيها بشكل متين غريب هو من بقايا عهد الاستعمار ، وهي توحي بانها بلد تجاري وفردوس لشركات التأمين اكثر مما توحي بانها (كما هي في الواقع) مقر اوعى وانجح قوة ثورية في افريقيا .

وقد اكتسبت هذه البلدة اسم الجزائر البيضاء من طائفة من الجزائر الصغيرة التي كانت تحيط في وقت مضى بالميناء وارتبطت معاً في الوقت الحاضر لتشكل رصيف الميناء الطويل الذي يقوم عليه مبنى الاميرالية . وينصح الدليل السياحي زوار المدينة بان يبدأوا جولتهم فيها بهذا الرصيف ، غير انه منطقة محرمة على المدنيين وتقوم معاً بحراستها القوات الجزائرية والقوات الفرنسية (التي ما زال منها حوالي ستين الفاً في البلاد) .

وقد فتحت معظم الدكاكين في الشوارع الرئيسية ابوابها من جديد ، وبعضها ملىء بشكل يدل على رخاء وسط التقشف الذي يحيط بها . اما السلعة التي تباع اكثر من سواها في هذه الدكاكين فهي الكتب : فمكتبات البلدة تعرض بزهو مؤلفات جميع كتاب الجزائر ، امثال مولود فرعون وكاتب ياسين وجان عمروش وآسيا جبار ، كما تعرض كل كتاب تقريباً ألف عن الجزائر قط . وتجد كتاب « العام الخامس للثورة الجزائرية » معروضاً في الواجهات بشكل خاص ، كما تجد بعض المؤلفات

عن الشرق الاوسط وعدداً يفوقها بكثير عن الدول الافريقية وقضايا الاستعمار . وتعنى الحكومة الآن عناية كبيرة بمساعدة هولدين روبرتو وجنوبي افريقيا، وقد منحتهما بنايات في العاصمة لتكون مقراً لهما .

وتستطيع ان تشتري في الاكشاك صوراً زاهية لأعلام الدول — وفي مقدمتها بالطبع العلم الجزائري المأخوذ عن راية عبدالقادر ، ومن بعده مزيج من الاعلام ، لكوبا والجمهورية العربية المتحدة وهيئة الامم وبلغاريا . وما زال باستطاعة الزائر ان يشتري صوراً لجان دارك على صهوة جوادها مع ان النصب ذاته قد زال من الوجود، شأنه في ذلك شأن غالبية الانصاب الفرنسية — واثناء وجودي في البلاد نشرت الحكومة كتاباً ابيض تهاجم فيه التجار الذين ما يزالون يبيعون مثل هذه المعالم التاريخية التي عفا عليها الزمان .

وتلاحظ ان تغيراً قد طرأ على اسماء المقاهي والمطاعم : فقد اختفت اسماء مثل « التحالف » و « التقدم » و « السلام » وبرزت بدلاً منهم اسماء مثل «الاستقلال» و «الحرية» — وكان الفرنسيون اثناء اقامتهم في البلاد قد حرموا استعمال كثير من الاسماء من بينها « الامل » و «المستقبل» ، وكانت الطريقة الوحيدة التي تمكن اهالي البلاد من اظهار عواطفهم بدون اكتساب عداوة الحكام الاجانب هي ان يستعملوا اسماء العواصم العربية المختلفة : فكان هناك مقهى بغداد، ومقهى دمشق، وهكذا . ويسيطر على جميع هذه الاماكن الجو التقشفي الذي يسيطر الى حد على المدينة بكاملها ، حيث تقفل جميع المحلات تقريباً قبل الساعة التاسعة — باستثناء مطعم واحد يملكه لبناني من كورنيش المزرعة في بيروت ويقدم فيه الشورما .

والمدينة مخططة تخطيطاً حسناً تعب عليه الفرنسيون كثيراً ، اذ كانوا يظنون انهم سيبقون فيها الى الابد ! وهي متسعة مترامية الاطراف ، وتحوي اكثر من مليون من السكان . وفيها عدد كبير من الفيلات البيضاء ومباني السكن الشاهقة التي يقطنها الآن ابناء البلاد — وكان محرماً عليهم قبل الاستقلال ان يعيشوا في احياء السكن الجيدة من المدينة . وقد نزح كثيرون منهم الى هذه المباني في الاشهر التي تلت تموز (يوليو) ١٩٦٢ وظلوا هناك . وعلى الرغم من هجرة القسم الاعظم من الفرنسيين وجلائهم عن البلاد فانه يصعب جداً ان يجد المرء شققاً خالية ، وخاصة بعد ان اقامت الدول المختلفة سفارات ومفوضيات لها في العاصمة (واجمل السفارات فيها سفارتا الجمهورية العربية المتحدة والصين) . وتسترعي انتباه الزائر في جميع المباني شارات تذكر الساكن بانه مسؤول عن النظافة والهدوء وتصرف اطفاله . والواقع انك حيثما تجولت في المدينة وجدت شارات كبيرة واعلانات على الجدران تقول لك ما الذي عليك ان تفعله، وما الذي عليك ان تكونه — «الانسان القويم هو الانسان الذي يفرض الاحترام» ، « الاميه استعمار فكري » — (بل ان بعض الشارات التي كان قد وضعها الارهابيون الفرنسيون قبل الاستقلال ما تزال قائمة) . هذه «المحاضرات» تراها في كل مكان ، لكن يندر ان ترى صورة لرئيس جمهورية البلاد ، وان رأيتها فانما على غلاف مجلة من مجلات فرنسا او احدى البلدان الافريقية . وما تزال الطرقات والشوارع تحتفظ باسمائها الفرنسية ، رغم انك تراها مشطوبة بالدهان الاحمر ومستعاضاً عنها باسماء جديدة لم تستقر بعد في اذهان الجمهور ووعيهم. يضاف الى هذا ان الحكومة سحبت من الاسواق جميع الخرائط القديمة للمدينة ولم تصدر بعد خرائط جديدة ، مما يؤول الى استحالة الاستهداء تقريباً الى المكان الذي تقصده .

واول ما يلفت النظر في الشوارع البالغة النظافة هو ازدحامها بالشبان القابعين فيها ولا اعمال لديهم فيذهبون اليها، كما تلفت النظر هزالة اجسام الناس ونفور عظامهم عند الكتفين والرسغين . هذه

النحافة هي التي تفرق في معظم الحالات بينهم وبين الفئات الاخرى التي ما تزال في البلاد – لان هؤلاء « الاوربيين » ، الذين قضى الوف عديدة منهم في سبيل الحصول على جوازات سفر فرنسية ، هم في الواقع حثالة البحر الابيض المتوسط والغيتو ولغتهم الرئيسية في بعض الاماكن مثل اوران هي الاسبانية ولغتهم الثانية الفرنسية . اما العربية فتجيء في الآخر ولا يتكلمها بتاتاً اهالي القبائل ، مع ان بعض كلماتها تستعمل حين الضرورة نظراً لان لغة البربر لا تحوي مفردات ومصطلحات للافكار المجردة . غير ان الحكومة اصدرت امراً اصبح اجبارياً بموجبه ان يتلقى التلاميذ ابتداء من هذا العام عشر ساعات اسبوعياً من اللغة العربية في جميع المدارس . لكن هذا ، والتوسيع المرتقب في حقول التعليم ، يعتمدان الى حد كبير على كرم البلدان العربية الاخرى ومدى استعدادها للمساعدة عن طريق مدها بالمعلمين. ومع ان الدستور قد نص على ان لغة البلاد الرسمية هي العربية، الا ان غالبية المعاملات تجري في الوقت الحاضر باللغة الفرنسية ، بل ان بن بيلا يستعمل مصطلحات فرنسية في خطبه العامة مع انه تعلم العربية في صغره عندما كان طالباً في تلمسان .

الجزائر هي المثل الوحيد في العالم العربي على دولة استعمارية عملت بوعي وتصميم على خنق جذور شعب باسره ولبثت في بلاده اكثر من قرن بكامله اشتغلت فيه جاهدة على تحقيق ذلك الهدف. اما فشل فرنسا في ذلك فبوسعنا ان نرد اسبابه الى نساء الجزائر . لقد قال فرانز فانون ذات مرة ان وجودهن سيثبت انه اعظم عبء يلقى على كاهل القوات الفرنسية المحتلة : وكانت حجته ان ذلك الشكل المحجب المجلبب بالبياض، مع ان الجزائري يتجاهله بل ولا يراه لحد كبير، الا انه يمثل بالنسبة للفرنسي رمزاً لا مفر منه لكل ما هو غريب عنه وكل ما يقاوم المطامح التي يسعى ان يحققها في الجزائر . لم يكن يتطلع [illegible] المرأة الجزائرية دور [illegible] يرى شرشفاً ابيض [illegible] مكشوفة لا [illegible] الشهير (عندما جمع الفرنسيون عدداً من المومسات والخادمات المتقدمات في السن وانتزعوا حجبهن على مرأى من الصحفيين والمصورين الذين كانوا قد دعوهن للحضور) اظهرت بوضوح وجلاء الخيبة التي شعروا بها ازاء مقاومتهن الصامتة . وكان من الصعب جداً على الفرنسيين ان يتقبلوا وضعاً كهذا: انه في شعب ابرز طابع جنسي له هو الخيلاء ، لم يكن من مجال لحوار معه سوى الاغتصاب . لقد حدث مراراً كثيرة ان تزوج رجال جزائريون من مختلف الطبقات والمداخيل بنساء فرنسيات – لكن ندر جداً ان حدث العكس .

وكان لعزلة النساء في الجزائر اثر آخر ، هو انهن ثابرن على استعمال العربية كلغة رئيسية واحياناً كلغتهن الوحيدة . كما ان طرق حياتهن وطبخهن واعمالهن ظلت موصولة الجذور بالعادات المغربية القديمة . وكان الجزائري « الجديد » انما يعود الى مثل هذه البيوت المحافظة على التراث بعد ان يرجع من فرنسا حيث كان يشتغل او يتلقى دراسته .

وقد ابقت النساء الجزائريات على السلسلة المتواصلة للخصائص الوطنية والاجتماعية التي جاهد الفرنسيون للقضاء عليها عبثاً . وهذا يفسر اهتمام الحكومة الجزائرية بحمل النساء على الاسهام في مرافق البلاد في عهدها الجديد. ينطبق هذا بالطبع على النساء العديدات اللواتي انتخبن اعضاء في مجلس الامة وعلى الفتيات المتحررات اللواتي حاربن في صفوف جبهة التحرير ، لكن الحكومة اصدرت ايضاً نداء خاصاً في هذا الصدد الى تلك الفئة من النساء التي كان الفرنسيون يطلقون على افردها اسم « فاطمة » سخرية واستخفافاً .